Şarkiyat İLMİ ARAŞTIRMALAR DERGİSİ
(JOURNAL OF ORIENTAL SCIENTIFIC RESEARCH (JOSR
Cilt/Volume: 15, **Sayı/Issue:** 02 (Aralık / December 2023)

الآجري والكلام الحديثي في إطار كتابه الشريعة

Muhammed Sıddık
Karabük Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Hadis ABD
muhammedsiddik@karabuk.edu.tr, https://doi.org/0000-0001-6773-3303

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi
Received / Makale Geliş Tarihi: 24/07/2023
Accepted / Kabul Tarihi: 13/11/2023
https://doi.org/10.26791/sarkiat.1331890

الآجري والكلام الحديثي في إطار كتابه الشريعة

في هذا البحث هدفنا لدراسة كتاب الشريعة للآجري في إطاره الزماني والمكاني، وما الذي قدمه هذا الكتاب لمذهب أهل الحديث في الكلام، العنوان الذي حمله الكتاب أي الشريعة كان لافتا للنظر، فما الذي يريد الآجري أن يخبرنا به، لذلك بدأنا بدراسة الفترة التي عاشها الآجري، ثم بدأنا بتحليل الكتاب لنفهم الإطار المعرفي والمنهجي الذي قدمه الآجري في المسائل الكلامية.

الفترة التي عاشها الآجري كانت فترة مليئة بالاضطرابات والخلافات المذهبية، وهذا ما انعكس على الكتاب، فالآجري حرم المناظرات الفكرية وخصوصا في مجال المسائل الكلامية حتى يسد باب الاختلافات. ناقش الآجري في كتابه الإطار المعرفي والمنهجي لمذهب أهل الحديث في الكلام، الإطار المعرفي كان قائما على الاتباع للمرويات، ذلك أن المرويات تقدم لنا المعرفة الكافية، وهذه المعرفة الكافية لا يجوز الخروج عليها لأن ما كان كافيا للنبي والصحابة فهو كاف لنا أيضا. أما الإطار المنهجي فكان قائما على قبول المرويات من دون تأويل، لأن التأويل سيفتح الباب أمام تعدد الآراء وبالتالي الخصومات. ومن طرف آخر فإن الآجري قدم المسائل الكلامية التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها، وعلى هذا فإن هذا الكتاب هو كتاب مهم بالنسبة لأهل الحديث. ما يلفت النظر في البحث هو الحديث الطويل عن فضائل الصحابة وعدالتهم وضرورة محبتهم جميعا دون استثناء، وهذا عائد إلى أهمية طبقة الصحابة في الكلام الحديثي. ذلك أن المعرفة الكافية انتقلت إلينا عن طريقهم.

الكلمات المفتاحية: الآجري، كتاب الشريعة، الحديث، علم الكلام، السنن، البدعة، أهل الحديث.

Acurrî'nin eş-Şerî'a Adlı Eseri Çerçevesinde Hadis Ehlinin Kelam İlmini Temellendirmesi Üzerine

Bu çalışma, zaman ve mekân bağlamlarına dikkat ederek, Acurrî'nin eş-Şerî'a adlı eserini ve kelam ilimi çerçevesinde ehli hadis için sunduğu yaklaşımı incelemeyi hedeflemektedir. Bu eserin eş-Şariâ ismi, dikkat çekmektedir. Dolayısıyla bu çalışmanın amacı, Acurrî'nin anlatmak istediklerini tespit etmektir. Bu nedenle Acurrî'nin yaşadığı dönemi incelemekle başlayan bu çalışma, eş-Şariâ adlı eseri çerçevesinde Acurrî'nin kelam ilimi bağlamında ortaya koyduğu Epistemolojik ve metodoloji ilkeleri incelemektedir.

Acurrî'nin yaşadığı dönem, mezhebî ihtilaflarla dolu olan bir dönem idi. Bunun, eserin muhtevasına yansıttığı görülmektedir. Nitekim Acurrî, kelam meselelerinde tartışmayı kabul etmemektedir. Müellif, eş-Şerî'a adlı eserinde ehli hadisin kelamî meselelerde yaklaşımını incelemektedir. Görüldüğü üzere Acurrî, ehli hadisin Kelam hususundaki epistemolojik yaklaşımını rivayetlere dayandırmaktadır. Zira rivayetler veya onun tabiri ile "sünenler" bize yeterli bilgi sunmaktadır. Rivayetlerin, Müslümanlara sunduğu bilgiden çıkmak bidat sayılır. Zira Hz. Peygamber ve Ashabı için yeterli olan bilgi, bizim için de yeterlidir. Ehli hadisin metot yaklaşımını da ortaya koyan Acurrî, tevili eleştirmektedir. Zira tevil, ihtilafın çıkmasına neden olacaktır. Acurrî, eş-Şerî'a adlı eserinde Müslüman kimsenin iman etmesi gereken konulara değinmektedir. Dolayısıyla eseri hadis ehli için son derce önem arz etmektedir. Acurrî'nin uzun uzun sahâbe, Onların adalet ve faziletlerinden bahsetmesi dikkat çekmektedir. Aslında bu mesele ehli hadis içim önemlidir. Zira sahâbe nesli bize bilgileri aktaran nesildir. Dolayısıyla onların adaletini ve faziletini ispat etmek gerekmektedir

Anahtar Kelimeler: Acurrî, Kitâbü'ş-Şerîʿa, kelâm ilmi, Sünen, Bidat, hadis ehli.

Al-Ājurri and ʿIlm Al-Kalām From The Hadith Scholars Viewpoint in The Shadow of His Book "Sharia"

Abstract

This study aims to examine Acurri's work *Sharia* and the approach he offers for ahli hadith within the framework of kalam science, paying attention to the time and space contexts. The title of the co-Sharia of this work attracts attention. Therefore, the purpose of this study is to determine what the Acurri want to tell. For this reason, this study, which begins with examining the period in which Acurri lived, examines the epistemological and methodological principles that Acurri revealed in the context of kalam science within the framework of his work Ash-Sharia.

The period in which the Acurri lived was a period full of sectarian conflicts. It is seen that this reflects on the content of the work. As a matter of fact, Acurri does not accept discussion on kalam issues. In his work titled Ash-Shari'a, the author examines the approach of ahli hadith in matters of kalami. As it can be seen, Acurri bases his epistemological approach to the Kalam of the ahli hadith on narrations. Because the narrations, or "sunnah" as it is called, provide us with sufficient information. It is considered a bidat to get out of the knowledge that the narrations offer to Muslims. Because the Prophet. The knowledge that is sufficient for the Prophet and his Companions is also sufficient for us. Acurri, who also reveals the method approach of Ahli hadith, criticizes the interpretation. Because tevil will cause a conflict to break out. In his work titled ash-Shari'a, Acurri touches on the issues that a Muslim should believe in. Therefore, his work is of utmost importance for the people of hadith. It is noteworthy that Acurri talks about the companions, their justice and virtues for a long time. In fact, this issue is important for ahli hadith. Because the generation of companions is the generation that transmits information to us. Therefore, it is necessary to prove their justice and virtue.

Keywords: Acurri, Sunnah, Sharia, Kalam, Hadith.

المقدمة:

أهل الحديث مدرسة فكرية لها أصولها الفكرية والمعرفية، وقدمت في هذا المجال عدداً من المصنفات، وهذه المصنفات تخبرنا عن الأصول المعرفية والمنهجية لأهل الحديث التي أحيانا تسمى بمدرسة أهل الحجاز، وفي الحقيقة فإن هذه المدرسة ترى في المرويات أو السنن أساساً معرفياً،[1] ولا يجوز ترك المروي، باعتبار أن المروي هو الأساس،[2] لذلك فإن مصنفاتهم تكون تماماً مؤلفة من المرويات التي تجمع تحت أبواب وأقسام معينة، وغالباً ما يكون التوافق والتلائم واضحاً بين عناوين الأبواب والأحاديث، وهذا عائد إلى نظرة أهل الحديث التي لا تحبذ التأويل، وترى في الالتزم النصي لما ورد أساساً منهجياً. ووفق هذه النظرة قدمت مدرسة أهل الحديث فقهها وتفسيرها وأخلاقها.

والآن يجب أن نطرح السؤال التالي، هل يمكن الحديث عن مذهب لهذه المدرسة في الكلام كمذهب الأشاعرة أو الماتريدية؟ والسبب في هذا السؤال أنه من الأمور المعلومةِ نفرةُ أهل الحديث عن علم الكلام، وتحذيرهم من الاشتغال به، وقد ألف الهروي كتابه المشهور في ذمِ الكلام، وعدِ الاشتغال به بدعة، ونرى الآجري يصف نفسه ومنهجه بالابتعاد عن الكلام. [3] لكنه في نفس الوقت نرى أهل الحديث يؤلفون في المسائل الكلامية، وكتاب الشريعة تناول في كل أقسامه مسائل كلامية، والسؤال الذي نطرحه في هذا البحث هو: هل يمكن الحديث عن علم كلام مذموم وممدوح، وما الذي قدمه الآجري في هذا الإطار، وما الأصول المعرفية والمنهجية التي وضعها لمقاربة المسائل الكلامية من وجهة نظره كعالم حديث.

والسبب في اختيار هذا الكتاب يعود إلى سببين:

الأول: تسمية الكتاب الشريعة، حيث تحيل هذه التسمية إلى الطريق المسلوكة كما سنبين في البحث، بتعبير آخر فإن الكتاب يريد أن يوضح أن الطريقة المسلوكة هي ما سيبينه في هذا الكتاب.

أما السبب الثاني فإنه يعود إلى السياق الزمني للكتاب، حيث ألف في فترة تكاثرت فيها الكتب التي تناولت المسائل الكلامية من قبل أهل الحديث، والملاحظ أن كتب أهل الحديث التي تناولت المسائل الكلامية في القرن الرابع الهجري امتازت بميلها إلى الرد على الفرق وخاصة الشيعة والمعتزلة والجهمية.

الدراسات السابقة

بالنسبة للدراسات التي تناولت الآجري، فلقد رصدنا بحثا قدم لنيل درجة الماجستير يحمل عنوان: Ebû Bekr Muhammed B. Huseyn El-Âcurrî ve Hadis Ilmindeki Yeri للباحث Mehemt Şafi Yıldız. البحث في الحقيقة عبارة عن تعريف بالآجري وبكتبه، إذ حاز هذا القسم الحيز الأكبر من البحث، وقد تطرق الباحث إلى بعض آراء الآجري المتعلقة بالحديث في صفحات محدودة.

وهناك مقالتان تتناولان منهجيته في الأخلاق، ولأن موضوعنا لا يتعلق كثيراً بالأخلاق فإننا لن نتناول هاتين الدراستين.

بالنسبة للدراسات التي تناولت المسائل الكلامية الحديثية، فإننا عثرنا على هذه المؤلفات:

أولاً: *التشبيه في تاريخ الإسلام، تحدي أهل الحديث* للباحث ليفنات هولتزمان بترجمة عمرو بسيوني ونشر دار ابن النديم، حيث تناول هذا الأثر إشكالية التشبيه عند أهل الحديث في إطار أحاديث الصفات، وبشكل خاص حديث المقام المحمود والنقاشات التي دارت حوله، حيث حلل المؤلف هذه المسألة عبر تاريخ هذه المسألة وخاصة في مقاربة الاتجاه الحنبلي. أطروحة الكتاب تعالج إشكالية التشبيه، وكيفية مقاربة أهل الحديث لهذه المسألة، ولم يتعرض الكتاب للحديث عن الأصول المعرفية أو المنهجية لمقاربة أهل الحديث الكلامية.

ثمة أثر مهم آخر وهو *الكلام العقائدي، عثمان بن سعيد الدارمي مجادلا عن أهل الحديث*، وهو كتاب مهم يتناول فيه الباحث المسائل الكلامية من وجهة نظر الدارمي وخصوصاً في مجال الرد على الجهمية في إطار كتابه المشهور الرد على الجهمية، وقد تناول في بداية بحثه بعض المسائل المتعلقة بالكلام عند أهل الحديث وخصوصا منهجية السكوت التي تم تبنيها في بداية الأمر. إلا أن الكتاب منحصر كما بينا في حدود كتب الدارمي في الرد على الجهمية.

في أطروحتها الدكتوراه الموسومة بالردود على الجهمية في تاريخ الحديث *Hadis Tarihinde Cehmiyye* تناولت الباحثة التركية Ayşegül Eroğlu أدبيات الردود التي كتبها أهل الحديث للرد على ادعاءات الجهمية، وحللت مواضيعها وبينت كيف تعامل علماء

---

[1] انظر في هذا الموضوع:

Kadir Güler, *Ehl-i Hadis Düşünce Yapısı*, (Bursa: Emin Yayınları, 2007), 160

محمد أنس سرميني، *القطعي والظني بين أهل الرأي وأهل الحديث* (بيروت: مركز نماء، 2021)، 127.

[2] إن أهل الحديث يرون أن الاعتبار الأول للمروي، في حين أن أهل الرأي ينظرون إلى المروي من زوايا مختلفة، وهذا ما أدى إلى توسع الخلاف بينهم، انظر:

محمد أنس سرميني، " الخبر الأحاد في سياق عموم البلوى، تحرير المسألة وتأصيلها عند متقدمي الحنفية"، *Marmara Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi , Cilt-Sayı 55 , (Aralık 2018)36.*

[3] الآجري، *الشريعة*، 740/2.

مدرسة أهل الحديث مع المسائل الكلامية المتنازع عليها بين أهل الحديث والجهمية، كما فحصت قسما من الأحاديث التي يحتج بها أهل الحديث في إطار هذه النقاشات من زاوية الصحة.

البحث الذي بين أيدينا يأتي متمماً لهذه الدراسات، حيث يهدف لتقديم قراءة سياقية لفهم كتاب الشريعة الذي حاز كثيراً من القبول عند أهل الحديث، كما سيركز على تقديم الأصول المعرفية والمنهجية في هذا الكتاب، وهذه الأصول هي في الحقيقة انعكاس للبناء الفكري الذي اعتمده أهل الحديث، لذلك فإن أهمية البحث تأتي من هذه الزاوية، إضافة إلى أن البحث سيحلل المواضيع العقدية التي يجب الإيمان بها من وجهة نظر الآجري، وهي مواضيع تتفق عليها غالبية الكتب الكلامية التي كتبت من قبل أهل الحديث.

منهجية الدراسة

القراءة السياقية الزمانية والمكانية للفترة التي عاشها الآجري ستكون بمثابة مدخل مهم لفهم كتاب الشريعة، وفهم العنوان. لذلك سنقدم في البداية تحليلا للزمان والمكان الذي كتب فيه البحث، كما سنحلل الأسباب التي دفعت الآجري إلى كتابة هذا الكتاب وإلى اختيار الاسم وما الذي تحيل عليه هذه التسمية.

القراءة التحليلة للكتاب ستقدم لنا الكثير لفهم الخلفية المعرفية والمنهجية للآجري، ولأجل ذلك سيحلل البحث المصادر التي اعتمدها للمعرفة وطرائق الفهم التي استخدمها للوصول إلى المعرفة، المصطلحات التي استخدمها الآجري في كتابه ستشكل مدخلا مهما لفهم هذه النقطة، لذا سنولي أهمية لهذه المسألة. وفي هذا الإطار سيركز البحث على فهم منهجية الرد على المخالف، لأن الردود تظهر لنا الكثير من الأصول المعرفية والمنهجية التي يعتمدها أي مؤلف.

إن من الأمور المهمة أثناء تحليل أي كتاب، فهم خريطته، وفهم المواضيع الأساسية التي بني الكتاب عليها، لذلك سنقدم قراءة لكتاب الآجري عبر إعادة تصنيف الأبواب والمسائل فيه، وفهم التقاطعات بينها وبين أصوله المعرفية والمنهجية.

المدخل: أهل الحديث والكلام.

في البداية لا بد من التعرض لمسألة العلاقة التي حكمت أهل الحديث وعلم الكلام، فمن المعروف أن أهل الحديث كانوا يذمون الكلام، ويحذرون منه، ولكن لا بد من أن نعرف ما المقصود بالكلام المذموم في سياق أهل الحديث، لأن فهم هذا الأمر يعين على تقديم جواب صحيح على أسئلة هذه الدراسة.

إنه من المعروف أن أهل الحديث ينفرون من الرأي، لأن الرأي سيؤدي بالإنسان إلى تجاوز الحديث والخروج عنه إلى معاني قد تكون غير مذكورة في الحديث، ولذلك فإن الأصل المعرفي الأول عندهم هو الالتزام بالنص مهما أمكن، وفي هذا السياق يأتي موقف أهل الحديث من الكلام، فمن خلال متابعة ما قاله بعض السلف عن علم الكلام، نرى أن المقصود من علم الكلام التفكيرُ في الإلهيات بعيداً عن القرآن والسنة، فالإمام الشافعي يقول: " حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام"[4]، فالإشكالية في ترك الكتاب والسنة، وليست في ذات الكلام، أي بتعبير آخر إن الكلام عن الإلهيات وفق الكتاب والسنة لهو أمر مطلوب. وهذا ما نلمحه من موقف الآجري، فعلى الرغم من أنه نفى عن نفسه وعن منهجيته الانتساب إلى الكلام، وعلى الرغم من تحذيره من الجدال في الإلهيات، أوضح بأن واجب الأئمة تبيين عقائد السلف والدفاع عنها وفق القرآن والسنة. وعلى ذلك فإن الدفاع عن العقائد الدينية وفق الأصول المعرفية والمنهجية لأهل الحديث هو أمر ضروري، وهذا ما نقصده بالكلام الحديثي أو مذهب أهل الحديث في الكلام.

يمكن القول بأن السكوت هو أول موقف تم اتخاذه مبكرا في سياق النقاشات الدائرة حول المسائل الكلامية،[5] هذا السكوت يعني قبول النصوص المتعلقة بالمسائل الكلامية كما هي دون تأويل، وهذا ما نراه في الكتب الأولى التي ألفت في المسائل الكلامية، حيث لا يورد إلا النص، أما التراجم التي أوردت الأحاديث تحتها فكانت انعكاساً مباشرا لظاهر النص، لكن هذا الأمر سيتحول مع تعاظم الفتن والنقاشات وخصوصا مسألة خلق القرآن حيث اتجهت كتب أهل الحديث في المسائل الكلامية إلى ممارسة نوع من الحجاج والجدال مع الحفاظ على القضايا المعرفية والمنهجية، وهذا يظهر أن أهل الحديث قد مارسوا الكلام تأصيلاً معرفياً ومنهجياً، فترك التأويل الذي أشير إليه بالسكوت هو نوع من التأويل في النهاية، لأن القول بأن الأصل هو الظاهر هو تحييد لبقية الاحتمالات الأخرى، وهذا تأويل بحد ذاته، والشيء اللافت للنظر أن الإمام البخاري المعروف ببراعته في التراجم قد أورد تراجم تعكس تماما ظاهر الأحاديث التي تحتوي مسائل كلامية. [6]

ومن طرف آخر إن كنا نقبل بأن أهل الحديث هي مدرسة فكرية لها أصولها، فلا بد أن نقبل أن يكون لديهم مذهب في الكلام، كما لهم مقاربة للفقه وللتفسير بل وحتى للزهد والأخلاق، والسبب في ذلك أن علم الكلام يقدم التصور الضروري لله وللإنسان وللكون وللعلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق، وأهل الحديث قد قدموا تصوراتهم هذه ودافعوا عنها في كتبهم وفي مصنفات الحديث التي جمعوها ورتبوها، يمكن للباحث أن يرى كلام المحدثين في أبواب الإيمان والصفات، والقضاء والقدر وغيرها. يضاف إلى ذلك أن أهل الحديث قد قدموا مصنفات مستقلة في المسائل الكلامية كما سنرى في الفصل التالي.

---

[4] الهروي، *أحاديث في ذم الكلام وأهله*، تحقيق. ناصر بن محمد الجديع (السعودية: دار أطلس، 1996)، 98.

[5] ياسر بن مطرف الماطري، *الكلام العقائدي* (بيروت: مركز نماء)، 8

[6] على سبيل المثال انظر كتابه أفعال العباد، وانظر في صحيحه كتاب التوحيد، فمثلا في كتاب التوحيد يورد البخاري في تراجمه آيات من القرآن أو نصوصا مقتبسة من الحديث، كتاب التوحيد، باب رقم 20، 22، 23.

ثانيا: التصنيف الحديثي في الكلام

يعد التصنيف الحديثي في المسائل الكلامية من التصانيف المهمة، والتي ظهرت في فترة مبكرة، ويمكن النظر إلى كتاب القدر لابن وهب المتوفى 197 على أنه من أول الكتب المستقلة التي ظهرت في هذا المجال، ثم تعاقب التأليف في المسائل الكلامية من وجهة نظر أهل الحديث.

التصنيف الحديثي في المسائل الكلامية قد اتخذ شكلين: فهو إما أن يكون مستقلاً، أو أبواباً في مصنفات الحديث، حيث نلاحظ أن كتب الجوامع والسنن تعاملت مع المسائل الكلامية داخل بنيانها، فهناك كتب الإيمان، وكتب الرد على الفرق المخالفة.كذلك الحال مع الكتب المستقلة التي قد تكون معالجة لمسألة معينة، كمسائل الإيمان أو القدر، أو قد تكون على شكل ردود على الفرق الآخرى.

ثمة كتب عالجت المسائل الكلامية بصورة شاملة، وهذه الكتب قد حملت عنوان السنة، مثل *السنة* لابن أبي عاصم والمروزي وغيرها، وهذه التسمية مهمة في فهم ما قدمه علماء مدرسة الحديث في المسائل الكلامية، يضاف إلى ذلك أن هذه الكتب عالجت مواضيع متعددة معرفية ومنهجية فيما يتعلق بالكلام.

من ناحية أخرى نلاحظ التبكير في التأليف الكلامي داخل مدرسة أهل الحديث، فهذه الكتب قد بدأت بالظهور في أواخر القرن الثاني فكتاب *القدر* لابن وهب رأى الحياة في النصف الثاني من القرن الثاني.

ظهور كتب الكلام تحيل إلى إحساس مدرسة أهل الحديث بالحاجة إلى تناول المسائل الكلامية التي كان يدور النقاش حولها، وهذا من أجل إظهار الابستمولوجيا التي تتبعها المدرسة، ونرى أن بدء ظهور هذه الكتب مهم لفهم مدرسة أهل الحديث كمدرسة لها وجودها الخاص الفكري المستقل.[7]

المبحث الأول: الآجري وحياته في القرن الثالث والرابع.

لكي نستطيع فهم كتاب *الشريعة* والذي قدمه الآجري في هذا الكتاب، لا بد لنا من وقفة على التطورات السياسية والاجتماعية والعلمية في الفترة التي عاش فيها، ثم لا بد من التطرق إلى حياة الإمام الآجري.

أولا: نظرة على القرن الثالث والرابع

ولد الآجري في نهايات القرن الثالث واستمرت حياته إلى ما بعد منتصف القرن الرابع، وهذان القرنان مهمان لما حدث فيهما من تطورات سياسية واجتماعية أثرت بمجملها على سير الحياة العلمية، وإذا أردنا أن نفهم هذا فعلينا أن نذكر أن الآجري قد هاجر من بغداد إلى مكة لما حصل في تلك الفترة من فتن على الأصعدة السياسية والاجتماعية والدينية.

تميزت هذه الفترة بالاضطرابات السياسية والاختلافات داخل مؤسسة الخلافة،[8] ورافقت هذه الاضطرابات السياسية اضطرابات على كافة المستويات كما ينقل ابن كثير في البداية والنهاية[9]، ففي الوقت الذي كانت خزائن الخلافة مليئة بالذهب،[10] كانت أحوال الناس سيئة للغاية كما يشير المؤرخون إلى هذا، وهذا أدى إلى اضطرابات اجتماعية وثورات.[11]

من أهم ما يميز هذه الفترة الاختلافات المذهبية الدينية، حيث اتخذت هذه الخلافات شكل الصراعات الدينية، والمقصود بذلك أن الخلافات خرجت من إطار النقاش العلمي إلى العامة فأدى إلى هذا إلى تعصب أعمى، حتى تعطلت الصلوات في مساجد في بغداد،[12] وتحولت المساجد إلى أماكن للخلافات المذهبية،[13] ويقول ابن كثير عن سنة 351:" وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب المذاهب، فقتل منهم خلق كثير وجم غفير".[14]

---

[7] Ayşegül Eroğlu, *Hadis Tarihinde Cehmiyye.* (Ankara, TDV. Yay, 2023), 25.

[8] الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار المعارف، دت)، 86/11، وانظر أيضا: الذهبي، *دول الإسلام*، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1985)، 155/1.

[9] ابن كثير البداية والنهاية، تحقيق. عبد الله بن محسن التركي (دار هجر: بيروت، 1998)، 571/14.

[10] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 744/14.

[11] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 815/14، 170/15.

[12] الذهبي، *دول الإسلام*، 215/1.

[13] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 255/15.

[14] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 255/15.

يضاف إلى ذلك أن بعض الفرق المبتدعة لجأت إلى القوة ففي هذه الفترة أطلت فتنة القرامطة برأسها، وكذلك فتنة الزنج.[15] وفي بداية القرن الرابع بدأت بعض الأقاليم بالانفصال عن المركز في بغداد كما يبين ابن كثير.[16]

وبالإضافة إلى الفتن الداخلية كانت القوى الخارجية تستثمر هذه الأوضاع وتعتدي على بلاد المسلمين، فالروم هجموا على أنطاكية وغيرها وقتلوا كثيرا، وتنصر عدد من الناس.[17]

كانت الحركة العلمية في حالة نشاط، فغالبية الكتب الستة دونت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكذلك ألفت مصنفات مهمة في الحديث، وخاصة بعد المحنة حيث اكتسب أهل الحديث نوعاً من المشروعية الاجتماعية والسياسية،[18] لذلك أظهروا آرائهم عبر تكثيف التآليف في شتى المواضيع.

كما أنشأت مكتبات عامرة، ومنها مكتبة نوح بن نصر الساماني التي قال عنها ابن خلكان: " كانت عديمة المثل"،[19] وقد وصف ابن كثير بغداد في تلك الفترة بأنها كل الدنيا بما حوته من العلم والعلماء.

ومن زاوية أخرى فإن العلوم الأخرى كالفلسفة وغيرها كانت في نشاط، لكن مما يلفت النظر أن هناك حركة بدأت ضد الفلسفة والمنطق، وكانت هذه الحركة مدعومة من قبل السلطة، حيث ينقل السيوطي أن المعتضد والذي لقب بالسفاح الثاني – في إشارة إلى جده السفاح الذي وطد للدولة العباسية ولادتها، كذلك فإن المعتضد كما يشير السيوطي أعاد للدولة هيبتها – "منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها"،[20] بل وصل به الأمر إلى إحراق كتبهم[21]، وهذا الأمر قد يحيل إلى الدولة أرادت محاربة الفرق الضالة وخاصة بعدما تقوت بالسلاح كما حصل في ثورات الزنج والقرامطة.

هذه الأحداث التي جرت في هذه الفترة ستنعكس على الكتاب على مستويين:

المستوى الأول: التحذير من الاختلاف، فكل هذه الفتن سببها الاختلاف وسبب الاختلاف هذا مرتبط باالمستوى الثاني.

المستوى الثاني: الدفاع عن المرويات من السلف الصالح، باعتبارهم الممثلين الأنقياء للدين، لأن التمسك بما كان عليه السلف قبل الفتن هو العاصم وقت الفتن كما سنرى.

ثانياً: الآجري عالماً ومحدثاً.

ولد أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري في بغداد، في نهايات القرن الثالث، وهناك اختلاف في سنة ولادته، لكن ومن كلام الحافظ الذهبي بأنه عاش ثمانين سنة يمكن القول بأنه قد ولد سنة 280، باعتبار أن سنة وفاته 360، حيث يقول الذهبي: " مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاث مائة وكان من أبناء الثمانين."،[22] ثم هاجر إلى مكة في حدود سنة 330، وبقي فيها إلى وفاته كما بين الخطيب في تاريخه.[23]

وصفه الخطيب فقد قال عنه: كان دينا ثقة له تصانيف، أما الذهبي بالإمام والمحدث والقدوة وشيخ الحرم المكي والعابد، وصاحب سنة .[24]

روى عن مشايخ بغداد، وحسب محقق كتاب *الشريعة*، فإن الآجري قد روى عن سبعة وسبعين شيخاً، كلهم من بغداد، إلا أربعة منهم مكيون،[25] وهذا يظهر أن الآجري ربما لم يخرج في رحلات لطلب العلم مكتفيا بعلماء بغداد ومحدثيها.

---

[15] Sabri Hizmetli, "Karmatîler", *Türkiye Diyanet Vakfi İslâm Ansiklopedisi* (Ankara: TDV Yayınları, 1989) 24/510.

[16] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 95/15.

[17] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 320/15- 322.

[18] Ahmet Yücel, *Hadis Tarihi*, (İstabnul: M.Ü. İlahiyat Fakültesi Vakıf Yayınları, 2014), 103.

[19] ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تحقيق. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1971)، 158/2.

[20] السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تحقيق. حمدي دمرداش (مكتبة نزار مصطفى، 1994)، 269.

[21] ابن كثير، *البداية والنهاية*، 6/15.

[22] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق. بشار عواد معروف (بيروت: دار الرسالة، 1985)، 135/16.

[23] الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، تحقيق. بشار معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002)، 35/3.

[24] الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، 35/3، الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 133/16.

[25] وقد ترجم محقق الكتاب لهؤلاء المشايخ في مقدمة التحقيق 99/1.

أما بالنسبة لطلابه والرواة عنه فهم كثر، والسبب في ذلك عائد إلى إقامته في مكة مقصد المسلمين للحج وطلب العلم، وفترة إقامته الطويلة ساهمت في زيادة عدد الطلاب، فبين الذهبي في ترجمته أن عدداً كبيراً من الطلاب والحجيج رووا عنه.[26] أما ابن خلكان فقد بين أن جماعة من الحفاظ رووا عنه.[27]

من مطالعة الكتب التي صنفها الآجري نرى تعدداً المواضيع، فمن تأليفه: كتاب *الشريعة*، *والأربعون*، *وأخلاق حملة القرآن*، *وأخلاق العلماء*، *وتحريم النرد والشطرنج والملاهي*، *وصفة الغرباء من المؤمنين*، وكتاب *الرؤية* الذي يعالج مسألة رؤية الله. وهذه الكتب كلها مصنفة على رواية الأحاديث، ومن النظر في تأليفه نلاحظ:

أولا: أنها قائمة على منهج مدرسة الحديث في التصنيف أي رواية الأحاديث وتصنيفها تحت أبواب معينة، والاكتفاء بالرواية عن التأويل والرأي، وهذا عائد إلى كونه من مدرسة أهل الحديث.

والنقطة الثانية الملاحظة في تصنيفاته هي اهتمامه بالتصنيف الأخلاقي في الحديث، فلقد ألف كتباً تتناول الأخلاق من زاوية الرواية الحديثية كما فعل البخاري وغيره.

النقطة الثالثة: الاهتمام بالنقاش الكلامي، فكتابه الشريعة مؤلف لهذه الغاية، وله أجزاء صغيرة مخطوطة تناول فيها مسائل متفرقة من الكلام.

في الختام يمكن القول بأن الآجري من علماء مدرسة أهل الحديث الذين رأوا في المرويات أساساً معرفياً فأسسوا عليها أفكارهم، وردوا الرأي باعتباره مؤدياً لرد المروي الذي هو الأساس المعرفي، السياق الاجتماعي الذي عاشه الآجري كان مؤثراً مهماً، فكما سنرى فإن هذا السياق كان موجهاً في التأليف، وفي طريقة التأليف، وفي محتوى التأليف أيضاً.

المبحث الثاني: كتاب *الشريعة* مصنفاً في مسائل الكلام الحديثي

كتاب *الشريعة* قد أتم مؤلفه تصنيفه بمكة، فالمؤلف صرح في الكتاب في عدة مواضع بأنه كان يكمل كتابة الكتاب في مكة، ولكي نفهم محتوى كتاب ما لا بد أولاً من فهم مشروعيته، وفهم الجديد الذي قدمه وهذا ما سنعرضه فيما يلي.

أولاً: لماذا االكتاب؟ ولماذا الشريعة؟ مشروعية الكتاب في سياقه الزماني والمكاني

ثمة بعض الكتب المهمة التي تناولت الكلام الحديثي كما سبق أن بينا، وهنا نطرح السؤال المهم، ما الجديد الذي قدمه الآجري، في كتابه *الشريعة*؟

مما يميز كتاب *الشريعة* النضوج ويظهر هذا من خلال ميزة الشمول، فالآجري تناول المسائل الكلامية التي نوقشت إلى زمنه، أي زمن زوال المحنة وظهور أهل الحديث، وهذا يعطي الكتاب أهمية من ناحية أنه يهدف لتأسيس لفترة جديدة في علم الكلام الحديثي، والنضوج يظهر من خلال طريقة التأليف، فالكتب السابقة كانت تكتفي بإيراد الأحاديث، لكن ما نلاحظه عند الأجري هو النقاشات مع آراء الفرق الأخرى، إضافة للتعليقات التي كان يوردها على الأحاديث أثناء الاستدلال بها. يضاف إلى ذلك أنه كان يورد الأدلة القرآنية التي يراها تشهد لمذهبه في إطار التدليل لمذهب أهل الحديث، إضافة إلى نقاشات داخل الأمور المعرفية والمنهجية في مقاربة أهل الحديث لمسائل الكلام. لقد تلقي كتاب الشريعة بالقبول، ويظهر هذا من خلال عدد الطلبة الذين رووا الكتاب عن الآجري، وقد استفاد ابن بطة من أثره.[28]

إن من أهم الأمور التي تساعدنا على فهم كتاب ما هو الانطلاق من سياقات وأسباب تأليفه، ومن العنوان الذي اختاره المؤلف للكتاب. قدمنا فيما سبق سياق الكتاب، والآن ندلف لمساءلة عنوان الكتاب، الشريعة في اللغة تعني الطريق الواضح، وهي تشير إلى مورد الماء، وقد وردت كلمة الشريعة في الاستخدام القرآني، حيث تحيل الآيات التي وردت فيها كلمة الشريعة إلى الطريقة التي يجب أن تسلك في الدين، ومن النظر إلى المعنى اللغوي والاستخدام القرآني نرى أنهما يشيران إلى ما يريد الآجري أن يخبرنا به، فالطريق المعلوم، ومورد الماء يحيلان إلى تواتر الناس على هذا الأمر، وكذلك الآجري يريد أن يخبرنا بما اتفق عليه السلف من الاعتقاد. وعلى ذلك فإن هذا الكتاب سوف يرسم للمسلمين الطريقة التي يجب أن تسلك، وعليه فالكتاب ليس كتاب لرواية الأحاديث فقط، وقد أشار هو في منتصف كتابه *الشريعة* إلى أسباب تأليف الكتاب، وشرح فيها سياقات الكتاب الزمانية والكتاب، حيث يقول: " قد رسمت في هذا الكتاب وهو كتاب الشريعة من أوله لآخره ما أعلم أن جميع من شمله الإسلام محتاج إلى علمه لفساد مذاهب كثير من الناس ، ولما قد ظهر كثير من الأهواء الضالة والبدع المتواترة ما أعلم أن أهل الحق تقوى به نفوسهم ، ومقمعة لأهل البدع والضلالة على حسب ما علمني الله عز وجل".[29] والملاحظ من النص أن الآجري يبين محتوى الكتاب، فالكتاب يتناول مسائل الدين أو الشريعة التي توارد الناس عليها، أما السبب الدافع لتأليف الكتاب، فهو فساد الآراء وظهور البدع.

---

[26] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 16/ 135.

[27] ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 292/4.

[28] أشار محقق الكتاب إلى هذا في مقدة التحقيق 129/1.

[29] الآجري، *الشريعة*، تحقيق. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي (الرياض: دارالوطن، 1999)، 2563.

وفي الكتاب نرى إشارات واضحة إلى أنه قد جمع الكتاب لمن يريد اتباع الكتاب وسنة النبي عليه الصلاة والسلام[30]، وهذا يصب فيما قلناه عن أن عنوان الكتاب يحمل في طياته إشارة واضحة للطريق الذي يجب أن يُسلك في الدين، وفي بداية الكتاب نراه يتجه إلى الله داعيا إياه بدعاء، وهذا الدعاء يفيدنا في فهم الكتاب، باعتبار أن الدعاء يحيل إلى ما يريده الإنسان، فيقول: " يرزقنا الله وإياكم التمسك بطاعته، وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه صحابته والتابعون لهم بإحسان، وبما كان عليه الأئمة من علماء المسلمين، وعصمنا وإياكم من الأهواء المضلة، إنه سميع قريب".

وفي هذا الإطار الذي رسمناه يمكن القول بأن الكتاب يهدف إلى معالجة موضوعين:

الموضوع الأول: **التأسيس**، حيث يهدف الآجري لتأسيس من مستويين:

المستوى الأول: التأسيس المعرفي، أي تعريف المسلمين بالمصادر التي تؤخذ منها المعرفة، وهي الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، ونلمح هذا من خلال المقدمات التي وضعها في مقدمة كتابه حيث يؤكد على النقاط الثلاثة التي بيناها مبيناً أن التمسك بهما يعصم من الضلالة. [31]

المستوى الثاني: التأسيس المنهجي، أي بيان المنهجية التي يجب أن تتبع بهدف الوصول إلى المعرفة، بتعبير آخر طريقة الاستنباط، وقد أشار إلى ذلك من خلال الحديث الطويل عن ضرورة الاتباع ورفض الابتداع، وهذا يكون باتباع ما كان عليه السلف الصالح.[32]

الموضوع الثاني: **الرد**، الرد هنا مهم للتأسيس، وبتعبير آخر فإن التأسيس يقتضي الرد على المخالف، فالآجري حرص في الكتاب أن يرد على:

الفرق الضالة.

مناهجها الضالة.

ويبين أيضاً الأضرار التي لحقت بالأمة جراء ما قاموا بها.

ثانيا: الألبواب والمسائل التي تناولها الكتاب، ما الذي يريد أن يخبرنا به الآجري؟

إن الأبواب والتراجم مهمة لفهم الكتاب، قسم الآجري الكتاب إلى ثلاثة وعشرين جزءاً، وفي كل جزء تناول مسألة أو مسائل مترابطة ببعضها، ويمكن تصنيف هذه المسائل على الشكل التالي:

القسم الأول: المتعلق ببيان أصول الكلام وفق منهجية أهل الحديث، وهذا القسم مهم، لأن الآجري تناول فيه المسائل المعرفية والمنهجية المتعلقة بالكلام من وجهة أهل الحديث، من بيان ضرورة الاتباع، وعدم التفرق وضرورة التزام الجماعة، والتحذير من رد السنن.

القسم الثاني: في الرد على الفرق المختلفة من جهمية وقدرية وحلولية وشيعية، وبيان أخطائهم ووقوعهم في البدع.

القسم الثالث: بيان المواضيع التي يجب الإيمان بها، حيث تناول بيان وإيضاح المسائل التي يجب على المسلم الإيمان بها، وبين الأدلة عليها.

القسم الرابع: القسم المتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام وفضائله وأخلاقه. إن الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام مهم في الكلام الحديثي، وذلك لأن المعرفة التي يجب أن يؤسس عليها الكلام الحديثي مرتبطة ببيان النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن.[33] ولقد حرص الآجري في عدة مواقف على بيان أهمية السنة ووظيفتها البيانية في المسائل الكلامية.

القسم الخامس: القسم المتعلق بالصحابة، وهو من أطول الأقسام، إذ قد خصص عشرة أجزاء لهذا الموضوع.

إن مقاربة أهل الحديث للمسائل الكلامية تقوم في جزء كبير منها على فكرة السنن والمرويات، قد نقلت إلينا عن طريق الصحابة في الدرجة الأولى، لذلك لا بد من بيان نقاوة هذا الجيل مما اتهموا به، وخاصة أن عصر تأليف الكتاب وما قبله كان عصرا مليئاً بالخصومات الفكرية والسياسية التي يرجع جزء منها إلى الخلاف حول الصحابة، لذلك خصص جزءاً كبيراً من كتابه للحديث عن الصحابة الذين دار النقاش والخصومات حولهم مثل الخلفاء الأربعة، والسيدة عائشة، ومعاوية رضي الله عن الجميع، وفي بداية هذه الأبواب نراه يركز على أنه وعلى عكس الرافضة يجب على كل مسلم أن يحب من شهد له النبي بالجنة واستشهد لذلك بحديث العشر المبشرة بالجنة، وبحديث النبي عندما كان على جبل أحد[34] وهذا الحب ليس حباً عاطفياً، بل حب يقتضي قبول كل صحابي، وقبول ما يرويه عن النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان منهجه في الحديث عن الصحابة بشكل عام يعتمد المستويات التالية:

---

[30] الآجري، *الشريعة*، 1/ 539.

[31] الآجري، *الشريعة*، 1/ 270 – 300.

[32] الآجري، *الشريعة*، 1/300.

[33] الآجري، *الشريعة*، 3/ 1404.

[34] الآجري، *الشريعة*، 4/ 1695.

المستوى الأول: صلاحهم وعدالتهم، وذلك ببيان حسن إسلامهم وسيرتهم، ورضى النبي عليه الصلاة والسلام عنهم، وما قدموه للإسلام من خدمات وأعمال تظهر إخلاصهم، والحديث أيضا عن فضائلهم الكثيرة.

المستوى الثاني: علاقاتهم مع بعض، وهذا المستوى مهم جداً، والغاية بيان إخلاصهم لبعضهم، وبيان المحبة التي كانت بينهم، وفي هذا الإطار ركز كثيراً على العلاقات بين الخلفاء الأربعة على المستوى الشخصي، كزواج عمر من بنت علي رضي الله عن الجميع، والمستوى الرسمي حيث بين أن علياً رضي الله عنه كان متابعاً لما سنه الخلفاء، وفي نفس الوقت اهتمام الشيخين برأيه.[35]

المستوى الثالث: ضرورة الإعراض عما جرى بينهم، فلقد عنون باباً سماه: " ذكر الكف عما شجر بينهم"، بين فيه ضرورة الكف عما جرى بينهم من خصومات، مدعياً أن البحث في هذه المسألة بحث عقيم لا فائدة منه، إضافة إلى أنهم كانوا متأويلين فيها، وهم أدروا بها كونهم الشاهدين عليها[36]، وفي هذا الإطار نرى الآجري يدافع عن الصحابة في بعض مواقفهم مبينا صوابية ما فعلوه، ويتبدى هذا من خلال مواقف الصحابة من مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.[37]

وفي إطار هذه الأقسام نلاحظ أن الآجري كان يكرر الاعتماد على مصطلحات معينة، ويمكن الإشارة إليها على أنها مصطلحات تأسيسية، ولا بد من فهم هذه المصطلحات، لأنها ستعيننا أكثر على فهم أكثر عمقا لكتاب الشريعة التي وردت في اسم الكتاب. حسب تحليلنا للكتاب يمكن الحديث عن أربعة مصطلحات أساسية، كل اثنين يشكلان ضداً للاثنين الآخرين:

لزوم الجماعة في مقابل الفرقة،

والاتباع مقابل الابتداع.

وعند التدقيق نلاحظ أن هذه المصطحات شديدة الارتباط بالأهداف التي أشرنا إليها سابقاً، فلزوم الجماعة والاتباع يبينان للمسلم الطريقة المعرفية والمنهجية الفكرية، في حين أن الفرقة والابتداع يشيران إلى الحال التي حلت بالمسلمين. لقد تمت الإشارة إلى مصطلحات الاتباع ولزوم الجماعة كثيرا أثناء نقاش المسائل الكلامية الحساسة في ذلك الوقت.

المبحث الثالث: كيف تناول الآجري المسائل الكلامية في كتابه الشريعة؟

إن هذه المسألة هي جوهر البحث، لأننا سنفصل فيها كيف عالج الآجري المسائل الكلامية من وجهة كونه من أهل ا لحديث. قد بينا سابقا أن الكتاب يهدف إلى التأسيس والرد، وسنفصل القول في ذلك: التأسيس الكلامي يقوم في الكتاب على أربعة نقاط:

أولاً: التأسيس المعرفي، ونعني به ما مصدر المعرفة؟

ثانياً: التأسيس المنهجي، ونعني به كيف نصل إلى المعرفة؟

ثالثاً: الرد، على من خالف في المعرفة أو في منهجيتها. التأويل الذي سيحيل إلى البدع، ومن ثم إلى الفرقة.

رابعا: التأسيس الإيماني، ونعني به بيان المواضيع التي يجب الإيمان بها.

أولاً: التأسيس المعرفي: المرويات ولزوم ما عليه الجماعة أساساً ابستمولوجياً.

الحديث الأول في كتاب الآجري هو الحديث المشهور: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"، واختيار هذا الحديث للبدء له معنى مهم، فالحديث يشير إلى استمرارية في المعرفة بين السلف والخلف، ومن ثم فالواجب هو تلقي هذا العلم والحفاظ عليه، وهذا واجب الأئمة كما سنشير إلى ذلك بعد قليل.

وهذه الاستمراية وتلقي العلم والحفاظ عليه قد عبر عنها الآجري من خلال المصطلحات المفتاحية التي أشرنا إليها سابقاً وهي الاتباع ولزوم الجماعة، وكل ما عدا ذلك فهو بدعة، أي ليس بمعرفة حقيقية، لذلك نرى أن الآجري يركز في بداية كتابه على السنن في مقابل التحذير من البدع.[38] فالسنن تعني ما نقل إلينا، في حين أن البدع تعني إطاراً غير مقبول بسبب عدم وجود آثار تستند إليها، وهنا نفهم التركيز الكثير الذي أبداه الآجري في التشديد على المرويات باعتبارها وسيلة لنقل المعرفة، فيروي عن عن زياد بن كليب أنه قال: " قال أبو حمزة لإبراهيم: يا أبا عمران أي هذه الأهواء أعجب إليك؟ فإني أحب أن آخذ برأيك وأقتدي بك، قال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، وما هي إلا زينة الشيطان وما الأمر إلا الأمر الأول".[39]، ويروي عن الأوزاعي: " عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس".[40]

الاتباع يحيل إلى معرفة بالمرويات أو السنن كما يعبر عنها الآجري، من هنا نقول بأن الأصول المعرفية للمسائل الكلامية من وجهة عالم منسوب إلى أهل الحديث الحديثي قائمة على الآثار، وهذه الآثار هي المعرفة الكافية كما يبين، حيث يقول: " فقد كفانا علم من

---

[35] الآجري، *الشريعة*،4/ 1775، 1779، 2311/5.

[36] الآجري، *الشريعة*، 2484/5 .

[37] الآجري، *الشريعة*، 1980/4.

[38] الآجري، *الشريعة*، 274/1.

[39] الآجري، *الشريعة*، 444/1.

[40] الآجري، *الشريعة*، 445/1.

مضى من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش عن ذكرهم، من مذاهب أهل البدع والضلالات، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه"[41]. هذه المعرفة الكافية هي شرط قبول أي تأويل، أي أن المرويات هي التي تبين المقصود من المتشابهات[42]

والمناظرة الشهيرة التي جرت بين شيخ لم يُسَمَّ وبين ابن أبي دؤاد مهمة لفهم كيف ينظر أهل الحديث إلى أصول المعرفة في الكلام، وقد اشتهرت هذه المناقشة على أنها انتصار لأهل الحديث، ومن خلال النظر والتدقيق فيها نلاحظ أن الأساس المعرفي الكلامي قائم على أن ما كان كافياً للسلف الصالح فهو كاف لنا. وفي هذه المناظرة نقرأ هذه الأسئلة التي وجهها المناظر الشيخ إلى ابن أبي دؤاد: " فقال: أخبرني عن هذا الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق بعده؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم؟ قال: لا، قال: فشيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر، ولا عمر ولا عثمان، ولا علي رضي اللهم عنهم ، تدعو أنت الناس إليه؟".[43]

مصطلح السنن، ليس خاصاً بما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام، بل يشمل الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة،[44] لذلك فإن الآجري يورد في كل باب ما وصل إليه من خبر مرفوع أو موقوف أو حتى مقطوع، بتعبير آخر فإن الآجري يرى أن المروي عن الأجيال الثلاثة فيما قبل ظهور البدع يمثل سنة، وبالتالي معرفة يجب التمسك بها، والإيمان بها معتقدا دينيا أساسياً، والسبب في ذلك أن الآجري يرى أن الكلام الصحيح قائم على الاستمرارية والنقل بين السلف والخلف، فشرط صحة الكلام أن يكون في إطار المنقول، بخلاف كلام الفرق الأخرى الذي يفتقد إلى الاستمرار. ففي باب: " الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه رضي الله عنهم وترك البدع وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم"، يؤكد على أهمية التمسك بما نقل إلينا واعتباره الأساس في الاعتقاد، في مقابل التحذير من البدع، والتي منشأوها عدم قبول الآثار، فيورد هذا الأثر عن أبي إدريس الخولاني: قال: "أخبرني يزيد بن عميرة، أنه سمع معاذ بن جبل، رضي الله عنه يقول في كل مجلس يجلسه: " هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، فيقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإنما ابتدع ضلالة"[45]، ولكي يؤكد على أهمية ما نقل عن الصحابة وطلبتهم يورد هذا الأثر عن عمر بن عبد العزيز:" سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعة الله تعالى، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا".[46]

وضمن ما نقلناه سابقاً يمكن القول بأن وظائف السنن هي:

1 تحديد المعرفة التي يجب أن تتبع، أي أن الآثار تحوي المعرفة الكافية، وإشكالية الفرق المخالفة كما سبق أن بينا أنها لم تكتف بما نقل. وفي هذا الصدد يقول: " فيما ذكرت في هذا الجزء من التمسك بشريعة الحق، والاستقامة على ما ندب الله تعالى إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وندبهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم: ما إذا تدبره العاقل علم أنه قد ألزمه التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبسنة الخلفاء الراشدين ، وجميع الصحابة رضي الله عنهم ، وجميع من تبعهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وترك الجدال والمراء والخصومة في الدين، ولزم مجانبة أهل البدع ، والاتباع ، وترك الابتداع ، فقد كفانا علم من مضى من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش عن ذكرهم، من مذاهب أهل البدع والضلالات"[47]

2 بيان المقصود من المتشابه[48]، أي أن المرويات عن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة ومن بعدهم تحدد المراد من الآيات التي يشكل فهمها، لذلك عندما كان يشير إلى خطأ فرقة من الفرق في التأويل يبين أن للرسول أو لمن بعده بيانا لها، وسنذكر امثلة على ذلك بعد قليل.

المصطلح الثاني المهم هو مفهوم الجماعة، وهو مفهوم معرفي عند الآجري، وليس مفهوما رياضياً يعني ليس مفهوم مرتبط بالعدد والكثرة، بل هو مرتبط تماماً بالاتباع وترك الابتداع، فالجماعة هي التي تحافظ على الاستمرارية في المعرفة عبر نقله، والدفاع عنه كما بين

---

[41] الآجري، *الشريعة*، 425/1.

[42] الآجري، *الشريعة*، 408/1.

[43] الآجري، *الشريعة*، 455/1.

[44] Alaaddin Kiraz, *"طرق تقوية الحديث الضعيف دراسة تأصيلية تطبيقية" Ṭuruḳu Taḳviyeti'l-Hadisi'd-Da'îf Dirase Te'sîliyye Tatbîḳiyye*, (Beyrut: Daru'l-Moqtabas, 2022), 32-33.

[45] الآجري، *الشريعة*، 407/1.

[46] الآجري، *الشريعة*، 408/1.

[47] الآجري، *الشريعة*، 424/1.

[48] الآجري، *الشريعة*، 409/1.

الحديث السابق. فلقد عنون الباب الثاني من كتابه بهذا العنوان: " باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة بل الاتباع وترك الابتداع"، فالجماعة تحيل إلى الاتباع، وهي في نفس الوقت تحمي الإنسان من الأهواء والفرقة.[49]

وفي بيان لمفهوم الجماعة أو السواد الأعظم، يورد هذا الخبر الطويل، وفي آخره يقول النبي عليه الصلاة والسلام: " وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها على الضلالة، إلا السواد الأعظم "، قالوا: يا رسول الله، ما السواد الأعظم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله تعالى ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب»"، ولقد أورد الآحري روايات وطرقا كثيرة لهذا الحديث لكي يبين أهمية لزوم الجماعة في تصور أهل الحديث، ثم علق قائلا:" رحم الله عبدا حذر هذه الفرق، وجانب البدع ولم يبتدع، ولزم الأثر فطلب الطريق المستقيم، واستعان بمولاه الكريم"[50]، لكن ما الطريق المقصود هنا؟ يجيب الآجري برواية هذا الخبر عن ابن سيرين أنه قال: " كانوا يقولون: " إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق".

والجماعة تستمد وجودها وكينونتها من من نقلها للآثار والحفاظ عليه من " تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»" كما سبق في الحديث، وعليه فالإمام الذي يجب أن يتبع عنده هو الإمام الذي تمسك بما نقل، ولم يبتدع، ولذلك عندما تناول مسألة الأئمة المتبعين مثل لهم بمالك والشافعي وأحمد وأمثالهم من المتبعين، [51] ولم نر أنه أشار إلى أبي حنيفة ومن سار على دربه من أهل الرأي، وظيفة العلماء بينها في دلالة الناس على "الأخذ بالسنن، وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم".[52]

لكن هذه المعرفة التي تنقلها الجماعة هي التي كانت ما قبل ظهور الآراء والبدع، وفي هذا الصدد يروي هذا الأثر عن أبي العالية أنه قال: " تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم والذي عليها أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء".[53]

ثانياً: التأسيس المنهجي: رد التأويل أساساً للعمل بالمروي

بينا سابقا أن الأصل المعرفي هو في الاتباع وفي معرفة السنن، لكن السؤال التالي الذي يجب أن نسأله هو: كيف نفهم؟ أو ما منهجية المعرفة؟ وهذا السؤال هو سؤال مهم لفهم كيف نظر الآجري إلى المسائل الكلامية، إن التأسيس المنهجي مرتبط بالتأسيس المعرفي عند الآجري، فإن كان التأسيس المعرفي قائما على التمسك بالآثار، فإن التأسيس المنهجي قائم على قبول الآثار من دون تأويل، لأن التأويل يعني التفكير في النص بطريقة تؤدي إلى إيجاد رأي آخر قد يخالف المروي بشكل من الأشكال، لذلك نرى أن الأصل عنده هو : "أمروها كما جاءت بلا تفسير".[54]

إن إشكالية التأويل أو الرأي أنه ليس له مستند علمي، أي ليس له ما يظهر مشروعيته من نقل، وفي هذا الصدد يقول: " ولا يقول إنسان في القرآن برأيه، ولا يفسر القرآن، إلا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من الصحابة، أو عن أحد من التابعين أو عن إمام من أئمة المسلمين، ولا يماري ولا يجادل"[55]، وقد سبق أن بينا أن من وظائف السنن بيان المتشابه، أي أن الآجري يرى أن صحة تأويل ما منهجياً قائم على اعتماده على آثر من الآثار.

وللتدليل على مشروعية عدم التأويل من دون نقل يستدل الآجري بالاكتفاء الحاصل في المسائل المتعلقة بالأحكام العملية أي الفقه، حيث يبين أننا قبلنا من الرواة ما نقلوا إلينا من الروايات المتعلقة بالأحكام العلمية دون تأويل، فلمَ لا نقبل منهم ما رووه مما يتعلق بالكلام؟[56] ويقول في هذا الصدد: " والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث ، يحذرونه ويحذرون منه"[57]

ولكي نفهم سبب تحذير الآجري ومدرسة أهل الحديث من التأويل، يجب علينا أن نتذكر أن التجربة الاجتماعية التي عاشها المسلمون – وخصوصا فترة المحنة وما بعدها- وما ترتب على هذه التجارب من انشقاقات اجتماعية هي إحدى الأسباب التي حدت بالآجري وغيره إلى التركيز على هذا المنهج، فالتأويل عند الآجري سبب للتفرق والاختلاف، والحال أن النبي عليه الصلاة والسلام قد حذر من هذا الأمر، وعلى ذلك فإن كان التأويل سببا للاختلاف، فيجب سد الباب أمامه، وقد ساق الآجري روايات كثيرة في باب " ذم الجدال والخصومات في

[49] الآجري، *الشريعة*، 301/1، 315، 393.

[50] الآجري، *الشريعة*، 315/1.

[51] الآجري، *الشريعة*، 300/1.

[52] الآجري، *الشريعة*، 435/1.

[53] الآجري، *الشريعة*، 300/1.

[54] الآجري، *الشريعة*، 1146/3.

[55] الآجري، *الشريعة*، 476/1.

[56] الآجري، *الشريعة*، 1068/2.

[57] الآجري، *الشريعة*، 1126/3.

الدين" تبين أن الآراء والتأويلات تفتح الباب أمام الاختلافات، فعن عمرو بن قيس أنه قال: قلت للحكم: ما اضطر الناس إلى الأهواء؟ قال: الخصومات"[58] ويؤيد ذلك ما نقله عن أبي قلابة في ثلاثة مواضع من كتابه قوله:" ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف".[59]

ثالثاً: الرد على الفرق الأخرى.

سبق أن بينا أن كتب الردود التي كتبها أهل الحديث في المسائل الكلامية لها مكانتها المهمة داخل التصنيف الحديثي في الكلام ، والسبب في ذلك أن أهل الحديث ينظرون إلى كل ما يخالف الآثار أنه بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، بتعبير آخر لقد حمل أهل الحديث أنفسهم مسؤولية الدفاع عن الدين في وجه البدع والفرق المختلفة، وهذا يظهر من خلال الحديث عن شرف أصحاب أهل الحديث.[60]

البدعة عند الآجري تأتي إما من تجاوز الآثار أو من التأويل،[61] وأول بدعة هي بدعة الخوارج الذين " يتأولون القرآن على ما يهوون".[62] تناول الآجري البدع والفرق أثناء حديثه عن اختلاف الأمة وانقسامها إلى فرق واتباعها في ذلك سنة الأمم الأولى، ويبين الآجري في هذا الصدد أنه لا مهرب من اتباع سنن من قبلنا في الاختلاف والانقسام، فالنبي عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك، لكن المخرج من هذا عبر التمسك بسنته.[63]

وفي إطار كتاب الشريعة نلاحظ أن الآجري تولى الرد على الفرق الموجودة في ذلك الزمان: الخوارج والمعتزلة، والجهمية، والحلولية، والشيعة وغيرها

لكن قبل أن ندخل في تفصيل منهجه في الرد والتمثيل عليه لا بد من التطرق إلى مسألة مهمة في الكلام الحديثي، وهي رأيه في المناظرة أو الجدل، المتتبع لكلام الآجري يلاحظ أنه كان يذم المناظرة والمجادلة، بل ويحذر منها تحذيراً كثيراً، والسبب في ذلك عائد في تصورنا إلى أن المجادلة والمناظرة ستفرض على المناظر سلوك طرق غير طرق المرويات، وقد توقع الطرف الآخر في خطر تبني آراء مخالفة.[64]

يضاف إلى ذلك أن حب الانتصار والظفر في المناقشات الكلامية كان لها وقعها الأليم على المسلمين، لذلك حرم الآجري الجدال في المسائل الكلامية ولم يبحها إلا على وجه الضرورة، ونلمس هذا من خلال إباحته للنقاش في المسائل الفقهية لكن بشرط النصيحة لا بشرط الانتصار، وقد تكلم في هذا السياق عن أخلاقيات المناظرة وهي وفق ما بين:

1 النية الصالحة أن تكون المناظرة لبيان النصيحة، وألا تكون هناك نية لتخطئة الآخر، بل هدفهما إظهار الحق.

2 أن يبتعد عن نيات النفس من حب المغالبة والظهور.

3 عدم رفع الصوت والصراخ.[65]

لكنه أباح المناظرة في المسائل الكلامية عند الضرورة، وقد تمثلت هذه الضرورة في فترة المحنة، فهناك سلطة سياسية تريد إجبار الناس على رأي خاطئ، فعندئذ تباح المناظرات الكلامية[66]

الرد على الفرق المخالفة يجب أن يكون في حدود النظرة المعرفية والمنهجية عند أهل الحديث، لذلك نرى أن الآجري عندما كان يرد على الفرق المختلفة كان رده قائما على الإشارة إلى ما وقعوا فيه من خطأ ببيان ما ورد من آثار تركوها، أي كان يبين لهم أن السنة قد فسرت وبينت ما وهموا فيه من تأويلات. وقد بين هو كيفية الرد على الفرق الآخرى فقال: " هذه حجتنا على القدرية: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسنة أصحابه والتابعين لهم بإحسان وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدال والمراء، .....، فإن جاء مسترشدا أرشد على معنى النصيحة له، فإن رجع فالحمد لله، وإن عاد إلى باب الجدل والمراء لم نلتفت عليه، وطرد وحذر منه، ولم يكلم ولم يسلم عليه".[67]

---

[58] الآجري، *الشريعة*، 443/1.

[59] الآجري، *الشريعة*، 460/1، 2547/5 – 2548.

[60] من المعلوم أن الخطيب البغدادي ألف في هذا الكتاب كتابه المسمى بشرف أصحاب الحديث، وفيه نلاحظ أنه يركز على الوظائف التي يقوم بها أهل الحديث من نقل وحفظ له، وهذه الوظائف هي التي أكسبتهم الشرف، وقد فسروا قول النبي عليه الصلاة والسلام: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق" بأنهم أصحاب الحديث. انظر: الخطيب البغدادي، *شرف أصحاب الحديث*، تحقيق. محمد سعيد خطيب أوغلو (أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، 1431)، 26.

[61] الآجري، *الشريعة*، 315/1.

[62] الآجري، *الشريعة*، 325/1.

[63] الآجري، *الشريعة*، 323/1.

[64] الآجري، *الشريعة*، 454/1.

[65] الآجري، *الشريعة*، 463/1، 477.

[66] الآجري، *الشريعة*، 454/1.

[67] الآجري، *الشريعة*، 934/2.

ونضرب مثالا على هذا، فعندما كان يناقش في مسألة رؤية الله أورد أن البعض اعترض على هذا بقول الله تعالى: " لا تدركه الأبصار" فرد عليه مبيناً أن الذي أنزل عليه القرآن بين إمكانية الرؤية، ولكن نلاحظ أنه قد نعت المخالف بألفاظ الجهل وعدم العلم، وهذا الأمر متكرر،[68] ثم عاد ليبين للطرف المخالف معنى الآية مستدلا بتفسيرات الصحابة ومن بعدهم.[69]

وفي رده على الحلولية الذين استدلوا بقوله تعالى: "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" على رأيهم بأن الله ليس في السماء، رد عليهم تأويلهم ببيان ما روي عن قتادة عن قتادة بأن المراد من الآية هو: إله يعبد في السماء ، وإله يعبد في الأرض ".[70]

رابعاً: التأسيس الإيماني، ما الذي يجب على أهل السنة والجماعة الإيمان به؟

في نهاية الكتاب بين المؤلف الآجري أن ما احتواه كتابه من المسائل هي ما يدين بها الله تعالى فقال: " وبهذا وبجميع ما رسمته في كتابنا هذا وهو كتاب الشريعة ثلاثة وعشرون جزءا ندين الله عز وجل ، وننصح إخواننا من أهل السنة والجماعة ، من أهل القرآن وأهل الحديث وأهل الفقه وجميع المستورين في ذلك؛ فمن قبل فحظه من الخير إن شاء الله ، ومن رغب عنه أو عن شيء منه فنعوذ بالله منه ، وأقول له كما قال نبي من أنبياء الله عز وجل لقومه لما نصحهم فقال {فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد} "[71] وهذا النص مهم لفهم أن المسائل التي حواها هي العقيدة التي يجب على منتسبي أهل السنة والجماعة الإيمان به. بشكل مختصر يجب على أهل السنة والجماعة أن يؤمنوا بكل ما ورد، وعليهم أن يؤمنوا من دون سؤال عن الكيف، لأن السؤال عن الكيف غير محبذ، بل هو بدعة كما نقل.

في التأسيس الإيماني سلك الآجري هذا المنهج:

فهو أولا يورد الآيات المتعلقة بالموضوع، ثم يثنيها بالأحاديث المرفوعة ثم الموقوفة فالمقطوعة، ثم قد يعلق عليها ببيان أن دلالة كل ما ورد ظاهر، وبالتالي لا بد من الإيمان بكل ما ورد مع تسليم مطلق.[72] ففي باب "الإيمان بأن الله يضحك" قال الآجري: " اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له ، والإيمان به أن الله عز وجل يضحك ، كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن صحابته"،[73] وفي نفس السياق تناول مسألة نزول الله كل ليلة في باب " الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة" فبين أن المؤمن يؤمن من دون سؤال كيف، لأن نقلة هذا الخبر هم نفسهم من نقلوا إلينا أخبار الصلاة والزكاة، وقد تلقاها العلماء بالقبول.[74]

وثمة نقطة مهمة وهي أنه كان يكثر من إيراد الروايات، وإيراد طرقها ومتابعاتها وشواهدها

المبحث الرابع: مسألة صحة الأحاديث

هذه المسألة تهم المحدث، كون جوهر عمل علم الحديث قائماً في جله على معالجة صحة الحديث، لكن مسألة صحة المرويات أثناء الحديث عن المسائل الكلامية في كتاب الشريعة مهم، وخصوصا مع تذكر خلفيته الحديثية، فهل في مسألة صحة الأحاديث وفق الشروط التي أصلها الشافعي وسار عليها البخاري؟ أم هل كانت له منهجية أخرى في قبول الحديث؟ من النظر في كتابه، نلاحظ أنه لم يعر هذه المسألة أهمية، فلم نجد له اهتماما بمعالجة صحة الأحاديث وفق الشروط الخمسة، بل قد أشار محقق الكتاب إلى عدد من الأحاديث شديدة الضعف بل والموضوعة في أثره. وقد أشارت الباحثة عائشة جول أوغلو إلى نفس الإشكالية في بحثها،[75] وهذا يعني أن هناك إشكالية في الأحاديث التي تورد للرد او للتأسيس، وهذا الموضوع مهم لأن هذه المسائل متعلقة بالله وبالاعتقاد.

وهنا يجب أن نسأل، هل كانت له طريقة أخرى في قبول الأحاديث؟ في الأصل فإن الآجري اعتنى بالإشارة إلى قبول الأحاديث، لكن وفق منهجية أخرى، ومن خلال ما قمنا به يمكن إعادة هذه المنهجية إلى هذه النقاط:

1 أن قبول السنن الواردة في الكتاب راجع إلى مسألة المشترك المعنوي بينها، أي الموضوع الذي توارت الأخبار عليه، ويشير إلى هذا بعبارة " يصدق بعضها بعضا"، وقد وردت هذه العبارة عدة مرات في سياق التأكيد على أن جميع هذه الآثار مما يجب قبوله

2 كذلك تقبل الأحاديث بالاتساق مع ظواهر النصوص القرآنية[76]

---

[68] الآجري، *الشريعة*، 1047./2

[69] الآجري، *الشريعة*، 1048/2.

[70] الآجري، *الشريعة*، 1102/3.

[71] الآجري، *الشريعة*، 2565/5.

[72] الآجري، *الشريعة*، 1153/3.

[73] الآجري، *الشريعة*، 1051/2.

[74] الآجري، *الشريعة*، 1125/3.

[75] Ayşegül Eroğlu, *Hadis Tarihinde Cehmiyye,* 236.

[76] الآجري، *الشريعة*، *2/*825.

3 قبول السلف لها.

4 تعدد طرقها.

لكن المثير للنظر أنه كان يؤسس بعض الأمور على أحاديث شديدة الضعف مثل روايته لبعض الأخبار المتعلقة بالرافضة، حيث ساق أحاديث منسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام ينفر فيها من الرافضة، ومن المعلوم أن هذه الفرقة لم تكن موجودة في زمن النبي، لكنه يوردها مستدلاً بها على فسادهم وفساد آرائهم،[77] كذلك روايته لبعض الأحاديث المتعلقة بالتحذير من الفرق الأخرى، والسؤال هنا، هل غابت معرفة كون هذه الأحاديث موضوعة عنه؟ أم رواها في سبيل التحذير؟ لم أستطع الوصول إلى تبرير لما فعله، ولعل ما فعله يدخل في إطار القاعدة التي تقول: من أسند فقد أحال عليك.

المبحث الخامس: الكلام والسياسة وأهل الحديث.

إن الاستعانة بالسلطة السياسية لدعم موقف أهل الحديث الكلامي، شيء يلاحظ عند أهل الحديث، وهذا الأمر مرتبط بان السلطة السياسية التي جاءت بعد المحنة دعمت موقف أهل الحديث، وهذا ما نراه عند الدارمي الذي أثنى على السلطة السياسية في ذلك الوقت.[78]

ونفس الأمر نراه عند الأجري الذي حدد وظيفة أهل السياسو في باب" عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء" حيث بين أن وظيفتهم قائمة على قتل من يستحق القتل، وأن يحبس من يستحق الحبس، ويستدل على ذلك بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة صبيغ التميمي، حيث عاقبه وجلده، وبما فعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قتل من ادعى الألوهة ويستدل أيضا بسيرة عمر بن العزيز رحمه الله في مسألة القدرية.[79]

الخاتمة والنتائج

في الصفحات الماضية انطلقنا من سؤالين مركزين، وهما هل يمكن الحديث عن كلام مذموم، والثاني لماذا كتاب *الشريعة*؟ وما الذي أراد الآجري أن يخبرنا به، وكان السبب الدافع لهذا السؤال هو العنوان الذي وضعه الآجري لكتابه *الشريعة*، دفعنا هذا السؤال لتقييم الكتاب وتقييم ما قدمه الآجري معرفيا ومنهجيا، إضافة إلى قراءة السياق الزماني والمكاني والاجتماعي للكتاب.

في السؤال الأول، رأينا في إطار كتاب الشريعة أن الكلام المذموم هو ما كان بعيدا عن المرويات، أي إن ذم الكلام ومدحه ليس لذاته بل ما يذم ويمدح وفق ما رأيناه هو المنهجية المعرفية في علم الكلام، فإن كان علم الكلام قائم على الالتزام بالمرويات فهو محمود وإلا فهو مذموم، ولقد رأينا الآجري في هذه النقطة يؤكد على ضرورة أن يتدخل العلماء في المسائل الكلامية، وهذا ما يفسر موقف أهل الحديث من علم الكلام. إن موقف السكوت الذي ارتأه أهل الكلام هو تماما مرتبط بموقفهم من المسائل الكلامية ومن منهجيتهم فيها، فالواجب السكوت، والسكوت يعني عدم التأويل، أما المنهجية التي ارتأتها بقية المذاهب فهي قائمة على الرأي، ولذا تم ذم منهجيتهم

في السؤال الثاني فإن كتاب *الشريعة* في الأصل يقدم علم كلام بديل للسائد في ذلك الوقت، ذلك أن الآراء الكلامية التي سادت في ذلك الوقت والنقاشات فيها كانت سببا من أسباب الخلاف والنزاع والفرقة وفق الآجري، أما الكلام الذي سيقدمه الآجري فهو كلام يهدف للجمع، لذلك سمى كتابه *الشريعة*، الشريعة العنوان الذي يرسم للمسلمين طريقة النبي والسلف التي توافقوا عليها، ولذلك لا بد من اتباع طريقتهم، والوسيلة الوحيدة للوصول إلى طريقة المسلمين هي الرواية، لذلك فإن الرواية أو الآثار هي الأساس المعرفي عند الآجري، ولذلك فإن الواجب الإيماني علينا أن نقبل هذا الكلام، وعلى مجموع المسلمين وخاصة العلماء أن يحملوا هذه السنن باعتبارها معرفة إلى الأجيال التالية نافين عنها انتحال المبطلين. وهكذا فإن هذه المعرفة الموجودة في السنن هي المعرفة الكافية، وما عدها بدعة يجب الإشارة إليها وإلى صاحبها حتى يحذر الناس منها.

لم يكتفِ الآجري بالحديث عن أهمية الكلام الذي يقدمه معرفياً، بل قدم أيضا الإطار المنهجي لفهم هذه المعرفة، فالقبول المطلق لهذه السنن دون سؤال الكيف في المسائل الكلامية هو المنهج السليم، وذلك لأن سؤال الكيف سيفتح الباب أمام التأويلات، والتأويلات ستفتح الباب أمام النزاعات التي تؤدي إلى الفرقة والخصام بل وسفك الدماء، والتجربة التاريخية التي عاشها المسلمون في تلك الفترة تؤكد تخوفات الآجري.

يحتل الدفاع عن الصحابة والحديث عن فضائلهم مركزية في الكلام الحديثي عند الآجري، وهذا عائد إلى أن الصحابة هم الجيل الذي نقل لنا معرفة النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك لا بد من بيان عدالتهم وعلمهم وفضلهم، والشيء اللافت للنظر في حديث الآجري عن الصحابة هو التأكيد على حب الجميع دون استثناء، وهذا الأمر له أهميته في ذلك الزمان حيث كان لأراء الناس حول الصحابة الأثر الكبير في التفرق السياسي والمذهبي.

---

[77] الآجري، *الشريعة*، 2511./5

[78] الدارمي، *الرد على الجهمية*، تحقيق. بدر بن عبد الله البدر (الكويت: دار ابن الأثير، 1995)، 21، وانظر أيضا: الدارمي، *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد*، تحقيق. رشيد بن حسن الألمعي (السعودية: مكتبة الرشد، 1998)، 534/1.

[79] الآجري، *الشريعة*، 2554/5.

الشيء اللافت للنظر في الكلام الحديثي عند الآجري تطرقه إلى الكلام عن واجب السلطة السياسية، وتمثليه لذلك بما فعله عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وهذا يفتح الباب أمام تساؤلات كثيرة عن العلاقة التي حكمت الطرفين.

النقطة الأخرى والتي يجب التفكير فيها هي في نظرهم للفرق الأخرى من منظور البدعة، فالبدعة هي عدم العمل بالسنن، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أي أن النظر إلى الآخر من منظور البدعة فتح الباب أمام تهميشه بل وإخراجه من دائرة الإيمان.

إن من أهم الأمور التي رأيناها في البحث والتي يجب أن نسجلها أن أهل الحديث قد نظروا إلى الاختلاف على أنه رذيلة، وأن الإجبار على الحق الذي يرونه هو فضيلة، ونؤيد هذا بما قرره الآجري من ضرورة تدخل السلطة السياسية لإجبار المبتدع عن العودة عن بدعته أو معاقبته.

البخاري، صحيح البخاري، تحقيق. مصطفى البغا. دمشق: دار ابن كثير، 1993.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تحقيق. إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1971.

ابن كثير، *البداية والنهاية*، تحقيق. عبد الله بن محسن التركي. دار هجر: بيروت، 1998.

الآجري، *الشريعة*، تحقيق. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. الرياض: دارالوطن، 1999.

الخطيب البغدادي، *شرف أصحاب الحديث*، تحقيق. محمد سعيد خطيب أوغلو.أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، 1431.

الذهبي، *دول الإسلام*. بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1985.

الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق. بشار عواد معروف. بيروت: دار الرسالة، 1985.

سرميني، محمد أنس. *القطعي والظني بين أهل الرأي وأهل الحديث*. بيروت: مركز نماء، 2021.

سرميني، محمد أنس. " الخبر الأحاد في سياق عموم البلوى، تحرير المسألة وتأصيلها عند متقدمي الحنفية"، Marmara Üniversitesi İlâhiyat Fakültesi Dergisi , Cilt-Sayı 55 ,(Aralık 2018)27-51

https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/630312

السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تحقيق. حمدي دمرداش . مكتبة نزار مصطفى، 1994.

الدارمي، *الرد على الجهمية*. تحقيق. بدر بن عبد الله البدر الكويت: دار ابن الأثير، 1995.

الدارمي، *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد*. تحقيق. رشيد بن حسن الألمعي السعودية: مكتبة الرشد، 1998.

الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف، دت.

الهروي، *أحاديث في ذم الكلام وأهله*، تحقيق. ناصر بن محمد الجديع. السعودية: دار أطلس، 1996.

ياسر بن مطرف الماطري، *الكلام العقائدي* بيروت: مركز نماء.

Güler, Kadir, *Ehl-i Hadis Düşünce Yapısı*. Bursa: Emin Yayınları, 2007.

Hizmetli, Sabri, "Karmatîler". *Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi.* 24/510-514. Ankara: TDV Yayınları, 1989.

Kiraz, Alaaddin, *"طرق تقوية الحديث الضعيف دراسة تأصيلية تطبيقية" Ṭuruḳu Taḳviyeti'l-Hadisi'd-Da'îf Dirase Te'sîliyye Tatbîḳiyye*. Beyrut: Daru'l-Moqtabas, 2022.

Yücel, Ahmet, *Hadis Tarihi*. İstabnul: M.Ü. İlahiyat Fakültesi Vakıf Yayınları, 2014.

Extenden Abstract

The aim of this study is to examine the book of *The Sharia* by al-Ajurri within its temporal and spatial setting, and to analyse its impact on the doctrine of Ahl Al-Hadith in theology. The research inquiry guiding the study is: Can the science of theology be deemed reprehensible and praiseworthy within the school of Ahl Al-Hadith, and how did al-Ajurri contribute to this discussion? In this context, the crucial question is: What cognitive and methodological principles did al-Ajurri establish to approach theological issues, considering his position as a member of the Ahl al-Hadith school? Therefore, the significance of this research lies in its ability to provide an objective analysis of al-Ajurri's cognitive and methodological approach towards theological matters, along with a comprehensive examination of the key doctrinal topics from al-Ajurri's perspective. These topics are widely acknowledged and discussed in the majority of theological books authored by Ahl al-Hadith.

The rationale for having chosen this book is two-fold. First, the initial step is to name the book *The Sharia*, which is an eye-catching title. What does al-Ajurri intend to convey through this title? As it is commonly known, in language, 'Sharia' refers to the path that needs to be followed. The book aims to elucidate the appropriate path to be followed in religion, specifically concerning verbal matters at cognitive and methodological levels. The second reason for this relates to the chronological context of the book, as it was written during a period in which many books focused on theological issues were being written by Ahl al-Hadith. It is noteworthy that in the fourth century AH, Ahl al-Hadith who wrote about theological issues tended to respond to specific sects, encompassing the Shiites, the Mu'tazila, and the Jahmiyyah. The era in which al-Ajurri lived was filled with conflict and sectarian divisions, which was reflected in the book. In fact, al-Ajurri prohibited intellectual discussions, particularly with regards to verbal matters, in an effort to eliminate dissenting opinions.

In our research, we relied on several approaches First, a contextual, temporal and spatial analysis of the period in which al-Ajurri lived. This analysis serves as a vital introduction for understanding the book of Sharia and its title. As a result, we will first provide an analysis of the time and place in which the research was written. Furthermore, we will explore the motivations behind al-Ajurri's decision to write this book and choose its name, including its intended references. Second, the study will conduct an analytical reading of the book to gain insights into al-Ajurri's cognitive and methodological background. For this reason, the research will focus on analyzing his epistemological method and the methods he employed to attain knowledge. At the same time, the study will attach significance to the terms al-Ajurri utilized in the book to provide a comprehensive understanding of this aspect. In this context, the research will centre on comprehending the methodology of responding to the violator, as the responses elucidate many of the cognitive and methodological principles embraced by any author.

One of the fundamental aspects of book analysis is comprehending its structure, including its primary themes. Thus, we will examine al-Ajurri's book through reorganizing its chapters and exploring the correlations between them and its cognitive and methodological underpinnings. In his book, al-Ajurri explores the cognitive and methodological framework of the Ahl al-Hadith doctrine of theology. According to the cognitive framework, one must follow narrations to gain sufficient knowledge. Deviation from this knowledge is not permissible as what was sufficient for the Prophet and the Companions is likewise sufficient for us. As for the methodological framework, it was based on accepting narrations without interpretation in order to avoid a diversity of opinions and potential conflicts. Indeed, the historical experiences of Muslims in that period confirms al-Ajurri's concerns. On the other hand, al-Ajurri introduced the theological issues that are imperative for believers to believe in. Consequently, this book holds great significance for Ahl al-Hadith. of particular note in this research is the extensive discussion surrounding the virtues, justice and importance of loving all Companions without exception. This is due to the vital role played by the Companions in Hadith discourse, as they transmited ample knowledge to us.

Hence, our examination of *The Sharia* revealed that objectionable speech is characterized by its lack of conforming to established narratives; evaluations of speech should not be made solely on its own merits, but rather in consideration of the cognitive methodology within the discipline of theology that informs which statements are deemed praiseworthy or condemnable. If theology is founded on adherence to narrations, it is commendable; otherwise, it is condemnable. al-Ajurri has emphasized the necessity for scholars to intervene in theological matters, which additionally serves to clarify the stance of Ahl al-Hadith on theology.

On the contrary, *The Sharia* initially offers a distinctive theology in contrast to the prevailing theological opinions and discussions that led to disagreement, conflict, and division during that time, as noted by al-Ajurri. However, the speech al-Ajurri will deliver aims to unify individuals, hence he entitled his book *The Sharia*, which outlines the Prophet's and predecessors' agreed way. Therefore, it is crucial to follow their path, and the only way to attain the

Muslims' way is through narration.

One of the most significant findings from our research that must be recorded is that Ahl al-Hadith considered disagreement to be a negative trait, and they believed in upholding truth as a virtue. Indeed, we substantiate this claim with al-Ajurri's insistence on the need for political intervention to either bring back those who have strayed from orthodox teachings or to punish them.